٤٠

قصيدة

إسماعيل الترمذي
في أواخر القرن الثالث

(؟هـ) رحمه الله

وفيها:

مجمل اعتقاد أهل السنة والأثر
مع الثناء على الإمام أحمد رحمه الله

• لم أقف لقائل القصيدة على ترجمة.

مجمل القصيدة:

اشتملت هذه القصيدة على إثبات بعض صفات الله تعالى التي أنكرتها الجهمية، والنهي عن التفكر فيها؛ لأن العقول لا تدرك كنهها، والأمر بالتسليم لما أثبته الله تعالى، وما أثبته له نبيه ﷺ.

وفيها إثبات أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق.

وفيها النهي عن الخصومات في الدين، والجدال والكلام في أبواب الاعتقاد بما أحدثه أهل البدع.

وفيها الثناء على الإمام أحمد رحمه الله وبيان موقفه في المحنة، وصبره على الأذى في ذات الله تعالى حتى أصبح شجًى في حلوق أهل البدع.

وفيها الإنكار على العلماء الذين أجابوا في المحنة ولم يصبروا فيها.

قال ابن القيم رحمه الله في «اجتماع الجيوش» (ص١٩٩): وهي من أحسن القصائد، لم ينكرها أحد من أهل الحديث، بل أثنوا على قائلها ومدحوه. اهـ.

مصدر القصيدة:

استخرجت هذه القصيدة من:

١ - كتاب «مناقب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ» لابن الجوزي (ص٥٧٢ - ٥٧٦) فقد أخرجها بإسناده، فقال: أخبرنا عبد الملك، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: أخبرنا أبو يعقوب الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله اللَّلآل، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم الصرَّام، قال: أخبرنا إبراهيم بن إسحاق الغسيلي، قال: أخذت هذه القصيدة من أبي بكر المروذي، وذكر أن إسماعيل بن فلان الترمذي قالها، وأنشدها في أحمد بن حنبل وهو في سِجن المحنة قال: . . فذكرها.

وعددها (٦٥) بيتًا.

٢ - وأخرجها عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي في «محنة الإمام أحمد بن حنبل» (ص١٢٠ - ١٢١)، فقال: أخبرنا أبو بكر بن أبي نصر بن محمد القاشاني الأصبهاني بها، أخبرنا الحافظ أبو نصر أحمد بن عمر بن محمد الغازي، وأخبرنا عبد الرحمن بن علي، أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم، قالا: أخبرنا عبد الله بن محمد بن إبراهيم الصرام، أخبرنا إبراهيم بن إسحاق الغسيل، قال: أخذت هذه القصيدة من أبي بكر المروذي، وذكر إسماعيل بن فلان الترمذي قالها، وأنشدها في أحمد بن حنبل وهو في سجنه، قال: . . . فذكرها.

وقد ذكر منها: (٦١) بيتًا.

قال إسماعيل الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ ـ تبارك من لا يعلمُ الغيبَ غيرُه ... ومن لم يزل يُثنى عليه ويُذكرُ
٢ ـ علا في السموات العُلى فوق عرشِه ... إلى خلقه في البرِّ والبحر يَنظُرُ
٣ ـ سميعٌ بصيرٌ لا نشكُّ مُدبِّرٌ ... ومَن دونه عبدٌ ذليلٌ مُدبَّرُ
٤ ـ يدا ربنا مَبسُوطتان كِلاهما ... تَسحَّان والأيدي من الخلق تَقتُرُ
٥ ـ إذا فيه فكَّرنا استحالت عُقولُنا ... فأُبنا حيارى واضمحلَّ التفكُّرُ
٦ ـ وإن نقَّرَ المخلوقُ عن علم ذاتِهِ ... وعن كيفَ كان الأمرُ ضلَّ المنقِّرُ
٧ ـ فلو وصفَ الناسُ البعوضةَ وحدها ... بعلمهمُ لم يُحكِموها وقصَّروا
٨ ـ فكيفَ بمن لا يَقدرُ الخلقُ قَدرَه ... ومن هو لا يبلى ولا يتغيَّرُ
٩ ـ نُهينا عن التفتيش والبحثِ رحمةً ... لنا وطريقُ البحثِ يُردي ويُخسِرُ
١٠ ـ وقالوا لنا: قولوا ولا تَتعمَّقوا ... بذلك أوصانا النبيُّ المُعزَّرُ
١١ ـ فقُلنا وقلَّدنا ولم نأتِ بدعةً ... وفي البدعةِ الخُسران والحقُّ أنورُ
١٢ ـ ولم نرَ كالتسليم حِرزًا ومَوئِلًا ... لمن كان يرجو أن يُثابَ ويُحذرُ
١٣ ـ شهدنا بأنَّ الله لا ربَّ غيرُه ... وأحمدَ مبعوثٌ إلى الخلقِ مُنذرُ
١٤ ـ وأن كتابَ الله فينا كَلامُه ... وإن شكَّ فيه المُلحدون وأنكروا
١٥ ـ شَهِدنا بأنَّ الله كلَّم عبدَه ... ولم يكُ غير الله عنه يُعبَّر
١٦ ـ غداةَ رأى نارًا فقال لأهله: ... سآتي بنارٍ أو عن النَّارِ أُخبرُ
١٧ ـ فناداه: يا موسى أنا اللهُ لا تخف ... وأرسلَهُ بالحقِّ يدعو ويُنذِرُ
١٨ ـ وقال: انطلق إنِّي سميعٌ لكلِّ ما ... يَجيءُ به فرعونُ ذو الكُفر مُبصِرُ
١٩ ـ وكلَّمه أيضًا على الطور ربُّه ... وقُرِّب والتوراةُ في اللوحِ تُسطَرُ
٢٠ ـ كذلك قال الله في مُحكم الهُدى ... وإسنادُه الروحُ الأمينُ المُطهَّرُ
٢١ ـ وإنَّ وليَّ الله في دارِ خُلده ... إلى ربِّه ذي الكِبرياءِ سَيَنظُرُ

٢٢ـ ولم نر في أهلِ الخُصومات كُلِّها زكينًا[1] ولا ذا خشيةٍ يتوقَّرُ
٢٣ـ ولم يحمدِ اللهُ الجدالَ وأهلَه وكان رسولُ الله عن ذاك يَزجُرُ
٢٤ـ وسُنَّتُنا تركُ الكلامِ وأهلِه ومَن دينُهُ تشديقُهُ والتَّقعُّرُ
٢٥ـ وكلُّ كلاميٍّ قليلٍ خُشوعه له بيعٌ فيه وسوقٌ ومَتجرُ
٢٦ـ تفرَّغَ قومٌ للجدالِ وأغفلوا طريقَ التُّقى حتى غلا المُتهوِّر
٢٧ـ وقاسوا بآراءٍ ضعافٍ وفرَّطوا ورأيُ الذي لا يتبع الحقَّ أبترُ
٢٨ـ جزى اللهُ ربُّ الناسِ عنَّا ابن حنبلٍ وصاحبَه خيرًا إذا الناسُ أُحضِروا
٢٩ـ سَميَّ نبي الله أعني محمدًا فقُل في ابنِ نوحٍ[2] والمقالةُ تَقصرُ
٣٠ـ سقى الله قبرًا حلَّه ما ثوى به من الغيثِ وسْمِيًّا يَرُوح ويُبكِرُ
٣١ـ هُما صبَرَا للحقِّ عند امتحانِهم وقاما بنصر الله والسَّيفُ يَقطُرُ
٣٢ـ وأربعةٌ جاؤوا من الشامِ سادَة عليهم كُبولٌ بالحديد تُسمَّرُ
٣٣ـ دُعُوا فأبوا إلَّا اعتصامًا بدينهم فأُجلوا عن الأهلين طُرًّا وسُيِّروا
٣٤ـ إلى البلد المشحون من كلِّ فتنة وفي السجن كالسُّراق أُلقوا وصُيِّروا

---

(١) الزكن والإزكان: الفطنة والحدس الصادق. «لسان العرب» (١٢/ ١٩٨).

(٢) محمد بن نوح المضروب (٢١٨هـ) رحمه الله، صاحب الإمام أحمد في المحنة، حمل معه إلى المأمون بسبب امتناعهما عن القول بخلق القرآن، ومرض في الطريق فمات قبل أن يصل إليه.
قال أبو العباس ابن سعيد: قال الحافظ أبو بكر - وليس بابن عقدة هذا شيخ مروزي، قال: لم يصبر في المحنة إلَّا أربعة كلهم من أهل مرو: أحمد بن حنبل أبو عبد الله، وأحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، ومحمد بن نوح بن ميمون المضروب، ونعيم بن حماد، وقد مات في السجن مُقيدًا، فأما أحمد بن نصر فضربت عنقه.. ومات محمد بن نوح في فتنة المأمون، والمعتصم ضرب أحمد بن حنبل، والواثق قتل أحمد بن نصر بن مالك، وكذلك نعيم بن حماد. «تاريخ بغداد» (٥/ ١٧٧)

٣٥ ـ فما زادهم إلَّا رضًا وتَمسُّكًا بدينهُمُ والله بالحقِّ أبصَرُ
٣٦ ـ إذا مُيِّزَ الأشياخُ يومًا وحُصِّلوا فأحمدُ من بين المشايخ جَوهَرُ
٣٧ ـ رقيقُ أديم الوجهِ حُلوٌ مهذَّبٌ إلى كلِّ ذي تقوى وقورٌ مَوقَّرُ
٣٨ ـ أبيٌّ إذا ما حاف ضيمٌ(١) مُؤمَّرٌ ومُرٌّ إذا ما خاشَنُوه مُذَكَّرُ
٣٩ ـ لعمرك ما يهوى لأحمد نكبةً من الناس إلَّا ناقِصُ العقل مُغْورُ
٤٠ ـ هو المحنةُ اليومَ الذي يُبتلى به فيعتبرُ السُّنيُّ فينا ويُسْبَرُ
٤١ ـ شجىً في حُلوقِ المُلحدين وقُرَّةً لأعينِ أهل النُّسك عفٌّ مُشمِّرٌ
٤٢ ـ فقا أعين المُرَّاقِ فعلُ ابن حنبل وأخرسَ من يبغي العيوبَ ويَحقرُ
٤٣ ـ جرى سابقًا في حلبَةِ الصِّدق والتُّقى كما سبق الطَّرفَ الجوادُ المضمَّرُ
٤٤ ـ وبَلَّد عن إدراكه كلُّ كودنٍ(٢) قطوفٍ(٣) إذا ما حاول السَّبقَ يعثُرُ
٤٥ ـ إذا افتخر الأقوامُ يومًا بسَيِّدٍ ففيه لنا والحمد لله مَفخَرُ
٤٦ ـ فقل للأُلى يشنَؤنَه(٤) لصلاحِهِ وصِحَّتِه والله بالعُذر يَعذِرُ
٤٧ ـ جُعلتم فداءً أجمعين لِنعلِه فإنكم منها أذلُّ وأحقرُ
٤٨ ـ أريحانةَ القُراءِ تبغونَ عثرَةً وكلُّكمُ من جيفةِ الكَلبِ أقذَرُ
٤٩ ـ فيا أيها السَّاعي لتُدرِك شأوَهُ(٥) رُويدك عن إدراكه ستُقصِّرُ
٥٠ ـ تَمسَّك بالعلمِ الذي كان قد وعى ولم يُلهِهِ عنه الخبِيصُ(٦) المُزعفَرُ

---

(١) الضيم: القهر والاضطهاد.. والرجل المضيم: المظلوم. «مقاييس اللغة» (٣/ ٣٨٣) و(٥/ ١٧٧).
(٢) (الكودن والكودني): البرذون الهجين، وقيل: هو البغل، ويقال للبرذون الثقيل: كودن تشبيهًا بالبغل. «لسان العرب» (١٣/ ٣٥٦).
(٣) القطوف من الدواب التي تسيء السير وتبطئ. «المعجم الوسيط» (٢/ ٧٤٧).
(٤) أي: يبغضونه.
(٥) (الشأو): الغاية والأمد. و(الشأو) كذلك: السبق. «تاج العروس» (٣٨/ ٣٤٥).
(٦) الخبيص: الحلواء المخبوصة من التمر والسمن. «المعجم الوسيط» (١/ ٢١٦).

٥١ ـ ولا بَغلةٌ هِملاجةٌ[١] مغربيّةٌ ولا حُلَّةٌ تُطوى مِرارًا وتُنشَرُ
٥٢ ـ ولا منزلٌ بالسَّاجِ والكِلسِ مُتقنٌ يُنقَّشُ فيه جِصُّهُ[٢] ويُصوَّرُ
٥٣ ـ ولا أَمَةٌ برَّاقةُ الجيدِ بضَّةٌ[٣] بمنطِقها يُصبَى الحليمُ ويُسحَرُ
٥٤ ـ حمى نفسه الدنيا وقد سَنَحَت[٤] له فمنزلُه إلَّا من القُوتِ مُقفِرُ[٥]
٥٥ ـ فإن يك في الدنيا مُقِلًّا فإنه من الأدبِ المحمودِ والعلم مُكثِرُ
٥٦ ـ وقل للأُلى حادوا معًا عن طريقِهِ ولم يمكثوا حتى أجابوا وغيَّروا
٥٧ ـ فلا تأمنوا عُقبى الذي قد أتيتُمُ فإن الذي جئتم ضلالٌ مُزوَّرُ
٥٨ ـ فيا عُلماءَ السوءِ أين عُقولُكُم وأين الحديثُ المسندُ المتخيَّرُ؟
٥٩ ـ ألا إنني أرجو النجاةَ ببُغضكم وكل امرئٍ يشنى[٦] الضَّلالة يُؤجرُ
٦٠ ـ تأسَّى بكم قومٌ كثيرٌ فأصبَحوا لكم ولهم في كلِّ مِصرٍ مُعيِّرُ
٦١ ـ ويا تسعةً كانوا كتسعة صالحٍ نبي الهدى إذ ناقة الله تُعقر
٦٢ ـ نكصتُم على الأعقاب حين امتُحنتُم ولم يك فيكم من لذلك منكِرُ
٦٣ ـ كتبتُم بأيديكم حُتوفَ[٧] نفوسِكم فيا سوءتا مما يَخطُّ المُقدِّرُ
٦٤ ـ وأشمتُّمُ أعداءَ دينِ محمدٍ ولم تُضرب الأعناقُ منكم وتُنشَرُ
٦٥ ـ فسبحان من يُعصى فيعفو ويَغفِرُ ويُظهر إحسانَ المسيءِ ويستُرُ

---

(١) أي بغلة حسنة السير في سرعة وبخترة. «تاج العروس» (٦/ ٢٨٥).
(٢) (الساج): ضرب من الشجر، ومنه يؤخذ أجود أنواع الأخشاب. و(الكلس): هو الجير. و(الجَص): ما يُبنى به.
(٣) يقال للمرأة إذا كانت لينة الجلد: إنها لَبَضَّة. «تهذيب اللغة» (١١/ ٣٣٠).
(٤) أي: تعرضت له الدنيا.
(٥) (قفر): مأخوذ من القفار، وهو كل طعام يؤكل بلا أدم. «غريب الحديث» (٢/ ١٥٢).
(٦) أي يبغض ويكره الضلالة وأهلها.
(٧) الحتف: الموت ويقال: مات فلان حتف أنفه، أي بلا ضرب ولا قتل. «العين» (٣/ ١٩٣).